

الحزن في قصيدة "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي:

دراسة نقدية بلاغية

Zulhelmi¹, Ade Hafis², Syarifuddin³, Malik Ibrahim⁴^{1,2,3,4}Program Studi Bahasa dan Sastra Arab, Universitas Islam Negeri Ar-Raniry
zulhelmi@ar-raniry.ac.id

الملخص: حاول هذا البحث إلى تحليل قصيدة "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي الأندلسي. ويركز البحث في مشكلته الأساسية عن شكل العاطفة الموجودة في تلك القصيدة وهي الحزن. فقد وجد الباحث كثيرا من عاطفة الحزن في قصيدة رثاء الأندلس بوصفها الأشعار الرثائية. فهذه القصيدة -كما هو شأن الرثاء- ممتلئة بالأسلوب الذي يدلّ على الحزن. فكثير من قارئ أو سامعي قصيدة الرندي قد غرقوا في عاطفة حزنها. لذلك قام الباحث بالدراسة عن عاطفة الحزن في هذه القصيدة من خلال الأساليب البلاغية التي تدلّ على تلك العاطفة. واستخدم الباحث المنهج الوصفي النقدي التحليلي حيث قام الباحث بوصف المشكلة المختارة ثم بتحليل المعلومات والبيانات وتقدها. فأما طريقة جمع المعلومات والبيانات فاختار الباحث البحث المكتبي. وأما النظرية التي اعتمد عليها الباحث فهي النظرية البلاغية. فنتيجة البحث تقول بأن هناك ثلاثة الأساليب الإنشائية الطلبية التي ترد في القصيدة بمعانها البلاغية وتدلّ على صدق عاطفة حزن الشاعر وسموها. وهي: الأمر بمعنى الإهانة والتحقير والنداء بمعنى التحسّر والتحرّز، وبمعنى الزجر والاستفهام بمعنى التشويق.

الكلمات المفتاحية: النقد الأدبي، العاطفة، رثاء الأندلس، أبو البقاء الرندي الأندلسي.

مقدمة

الأدب هو التعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة^١. فقد عرّفه شوقي ضيف بأنه "الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسماعين سواء أكان شعرا أم نثرا"^٢. ففهم من التعريفين أن الأدب هو أن يُخرج الشخص ما شَعُرَ به من الإحساسات وما شاهده من

^١ أحمد أمين، *النقد الأدبي* (القاهرة: هندواي، ٢٠١٢)، ص ١٣.^٢ شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠)، ص ٧.

الأحداث الاجتماعية بطريقة التعبير سواء كان كتابيًا أو لسانيًا. وذلك التعبير الذي أخرجه الأديب يسمى عملاً أدبياً أو صناعة أدبية. ففهم من التعريف الثاني أن عملاً أدبياً ينقسم إلى القسمين وهما الشعر والنثر.

فالشعر من الأعمال الأدبية. فقد اختلف العلماء في تعريف الشعر. فقد نقل أحمد أمين بعض التعريفات للشعر، حيث قال: فقالوا في الأدب العربي: "إنه الكلام الموزون المقفى وقال بعض الإفرنج: أي كلام موزون يسمى شعراً سواء كان جيداً أو رديئاً. ولكن هذا وذاك من غير شكّ تعريف قاصر لا يتناول إلا الشكل"^٣ ثم نقل تعريفه من ابن خلدون، حيث أنه قال: وعرفه هو بقوله: "إنّ الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصّل بأجزاء متفقة في الوزن والرويّ المستقبل كل بيت منه بغرضه ومقصده عما قبله الجاري على أساليب مخصوصة"^٤.

لكنّ تعريف ابن خلدون ليس شاملاً لأركان الشعر، عند رأي أحمد أمين وهو يقول: "وعيب هذا التعريف أنه لم يلتفت إلى أكبر منزلة للشعر وأحد أركانه وهو إثارة الشعور وكان خيراً منه أن يقول: إنه المبني على الخيال المثير للعاطفة... فالشرطان اللذان يجب توافرهما في الشعر هما الوزن والقافية والاتصال بالشعور"^٥ فاستخلص مما سبق عرضه أن تعريف الشعر هو كلام موزون مقفى مؤثر للشعور.

للأعمال الأدبية عناصر أربعة تسمى عناصر أدبية وهي الموضوع والخيال والعاطفة والأسلوب. فهذه الأربعة هي الأساس الذي يبنى عملاً أدبياً ما والذي يميّزه عن غيره. فكلّ عمل أدبي لا بد أن تكون فيها تلك الأربعة. قال أحمد أمين: "أجمع النقاد تقريباً على أن الأدب يتكوّن من عناصر أربعة: العاطفة والمعنى (الفكرة) والأسلوب والخيال"^٦ فعندما يكون الشعر من الأعمال الأدبية فتوجد فيه هذه العناصر الأربعة أيضاً. فأراد الباحث هنا أن يبحث عن الحزن -وهو من العاطفة- في قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي.

^٣ أمين، النقد، ص ٦٠.

^٤ أمين، النقد، ص ٦٠.

^٥ أمين، النقد، ص ٦١-٦٢.

^٦ أمين، النقد، ص ٢٩.

هذه القصيدة مشهورة برثاء الأندلس أو بنونية الرندي أو بالسطر الأول من البيت الأول من القصيدة وهو "لكل شيء إذا ما تم نقصان"^٧. وهذه القصيدة خفيفة على السمع، سهلة الألفاظ، جميلة الصيغ، دقيقة المعاني تجلب الأذهان والعواطف، فقد تحدّث فيها أبو البقاء عن مصيبة عظيمة وحادثة محزنة وهي ظاهرة سقوط دولة الأندلس. فقد كانت في هذه القصيدة زيادات ونقصانات باختلاف الروايات^٨ ومع ذلك اختار الباحث من تلك الروايات في هذه الرسالة ما نقله المقرئ في كتابه *أزهار الرياض في أخبار عياض*^٩.

كما قد سبق ذكره أن هذه القصيدة هي من شعر الرثاء. وهو أن يفتقد الشاعر ما أحبه من أسرته وقبيلته ومدينته وبلده وما إلى ذلك^{١٠}. إذن، من شأن الأشعار الرثائية يكون الشاعر فيها يُظهر حزنه من خلال أبياتها. وكذلك الأمر في قصيدة الرندي هنا، حيث كان الشاعر قد افتقد دولته المحبوبة الأندلس وأبدى ما شعر به من الحزن الشديد من خلال أبيات شعره باستخدام أساليب بلاغية. لذلك استخدم الباحث في هذه الرسالة نظرية البلاغة لتحليل حزن الشاعر في القصيدة. وفيما يلي، الكتب الأساسية المعتمدة التي يستخدمها الباحث لتحليل عناصر الحزن في قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي:

- (١) لسان العرب لابن منظور^{١١}.
- (٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي^{١٢}.
- (٣) النقد الأدبي لأحمد أمين^{١٣}.
- (٤) أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب^{١٤}.
- (٥) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني^{١٥}.

^٧ محمد رضوان الداية، *أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس* (بيروت: مكتبة سعد الدين، ١٩٨٦)، ص ٨٩.

^٨ الداية، *أبو البقاء الرندي*، ص. ٩٠.

^٩ ص ٤٦-٥٠ (في النسخة التي استخدمها الباحث).

^{١٠} سراج الدين محمد. *الرثاء في الشعر العربي* (بيروت: دار الراتب الجامعية، د.ت). ص ٥-٦.

^{١١} ابن منظور. *لسان العرب*. تحقيق: عبد الله علي الكبير (القاهرة: دار المعارف. الطبعة الجديدة المحققة، د.ت)

^{١٢} مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*. تحقيق: أنس محمد الشامي وذكريا جابر أحمد (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨)

^{١٣} أمين، *النقد...*

^{١٤} أحمد الشايب، *أصول النقد الأدبي* (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤).

^{١٥} الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)

(٦) جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي^{١٦}.

(٧) علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني لبسيوني عبد الفتاح فيود^{١٧}.

وأما بالنسبة إلى الدراسات السابقة حول هذا موضع البحث -وهو قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي- فلم يوجد أيّ باحث يقوم بدراسة العناصر الأدبية بشكل عام والعاطفة بشكل خاصّ في هذه القصيدة. ومع ذلك سيعرض الباحث بعض الدراسات السابقة التي تساعد الباحث في كتابة هذه الرسالة والتي تكون أكثر شُمُهاً بها مع ذكر بعض الفروق -غير موضع البحث- بين تلك الدراسات ورسالة الباحث هنا وهي الأول سيمياء الحزن في شعر سليم النفر، بقلم دعاء عادل سلامة عابد، طالبة قسم اللغة العربية بجامعة الأقصى-فلسطين، ٢٠١٨-٢٠١٩م^{١٨}. فقد قامت الباحثة هنا بدراسة الحزن في شعر سليم النفر باستخدام المنهج السيميائي. فنتيجة البحث تقول بأن في ذلك الشعر علامات تدلّ على حزن الشاعر وتلك العلامات سمّتها الباحثة بالمرجعيات السيمائية. وهذه الدراسة تعتبر دراسة نقدية، حيث تبحث الباحثة عن عاطفة الحزن في الشعر ولكن يوجد الفرق الواضح بين بحثها وبحث الباحث هنا. وهو أن الباحث يستخدم علم البلاغة لتحليل عاطفة الحزن في قصيدة رثاء الأندلس. والثاني الدلالات التعبيرية لظاهرة الحزن في شعر صلاح عبد الصبور، بقلم عبد التواب محمود وغيره^{١٩}، ٢٠١٩م. وهذه الرسالة تدرس بعض التعبيرات التي تدلّ على حزن الشاعر غير أن الباحث لا يستخدم البلاغة في استخراج الحزن. والمنهج الذي يستخدمه هنا هو المنهج الوصفي وذلك يبدو حينما يشرح أبيات الشعر وما تدلّ منها على حزن صلاح عبد الصبور الشاعر. والفرق بين الباحث السابق والباحث هنا واضح جليّ. والأخير ملامح الحزن في شعر الشريف المرتضى، بقلم حمد محمد فتحي الجبوري^{٢٠}. وهذه الرسالة هي أكثر شُمُهاً برسالة الباحث هنا، حيث

^{١٦} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة. تحقيق: يوسف الصميلي (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩)

^{١٧} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني (القاهرة: مؤسسة المختار، ٢٠١٥)

^{١٨} دعاء عادل سلامة عابد، سيمياء الحزن في شعر سليم النفر، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة الأقصى، قسم اللغة العربية، (٢٠١٩-٢٠١٨).

^{١٩} عبد التواب محمود، الدلالات التعبيرية لظاهرة الحزن في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة حوليات أداب عين الشمس، المجلد ٤٧، عدد ابريل-يونيه ٢٠١٩.

^{٢٠} حمد محمد فتحي الجبوري، ملامح الحزن في شعر الشريف المرتضى، مجلة أداب الرافدين، مجلة فصلية علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب-جامعة الموصل، العدد ٨٦، السنة ٥١، أيلول ٢٠٢١-٩-٥م. ص ٨٠-٩٩.

أن الباحث هناك، أحيانا يقوم بتحليل ملامح الحزن في الشعر باستخدام البلاغة أي معاني حرف النداء ولكنه لا يفعل ذلك دائما. وهذا يدل على أن رسالته لا تعتمد على نظرية البلاغة. فمن خلال ما سبق عرضه يتضح أن دراسة الباحث -وهي الحزن في قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي: دراسة نقدية بلاغية- لم يقيم بها أي باحث من قبل. وإذا كان الأمر هكذا فهذه المسألة لائقة لدراستها.

منهجية البحث.

ل للوصول إلى النتائج الموثقة يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي. ويقصد بالوصفي وصف الظواهر المرادة دراستها كما عرّفه العلماء الباحثون^{٢١}. ويقصد بالتحليلي أنه يحلّل المعلومات والبيانات التي قد تمّ جمعها حتى يصل بذلك إلى النتائج القويّة الموثقة^{٢٢}. والخطوات التي سلكها الباحث في كتابة هذه الرسالة كالتالي:

- (١) تحديد خلفية المشكلة في قصيدة رثاء الأندلس كما قد مرّ ذكرها في المقدمة.
- (٢) جمع المعلومات والبيانات من كتب ومجلات نقد الأدب العربي والبلاغة.
- (٣) ملاحظة تلك المعلومات والبيانات حتى يستطيع أن يطبقها لتحليل المشكلة المرادة دراستها.
- (٤) كتابة نتائج التحليل.

البحث والمناقشة

النقد الأدبي

إن مصطلح النقد الأدبي يتكوّن من لفظين أساسيين وهما "النقد" و"الأدب". وأما النقد فأصله يُستعمل في تمييز الدراهم جيّدها عن رديئها. ثمّ شاع استخدامها بمعنى تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبيح. وأما الأدب فهو التعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة تعبيرا منظوما أو منثورا. فالنقد الأدبي المقصود هنا هو استعراض القطع الأدبية (الأعمال الأدبية) لمعرفة محاسنها

^{٢١} Almasdi Syahza. *Metodologi Penelitian* (Pekanbaru: UR Press, 2021), hal 29.

^{٢٢} محمد سرجان علي المحمودي، *مناهج البحث العلمي* (صنعاء: دار الكتب، ٢٠١٥). ص ٥١.

ومساوئها كما عرفه أحمد أمين^{٢٣}. قال: "والغرض من دراسة النقد الأدبي معرفة القواعد التي نستطيع بها أن نحكم على القطعة الأدبية أجيدة أم غير جيدة؟"^{٢٤}.

إذا قرئ في كتب النقد الأدبي فتوجد أن للأدب عناصر أساسية أربعة وهذه العناصر الأربعة هي من أهم مجال دراسة النقد الأدبي. وقد أشار إلى ذلك قول أحمد الشايب: "نريد أن ندرس عناصر الأدب درساً تطبيقياً لنتبين قيمتها وما بينها من صلات وتلازم ثم نتخذ من هذا الدرس وسيلة لتحليل القصيدة أو المقالة أو الإلمام الإجمالي بأي كتاب أدبي"^{٢٥}.

فمن العلوم التي تساعد على تحليل عناصر الأدب هو علم البلاغة -كما سيتم تعريفها في ما بعد- بل يتولّد علم البلاغة من نقد الأدب العربي. قال أحمد الشايب: "هذا النقد الأدبي كان من عوامل التي أوجدت علماً آخر هو البلاغة فإن ملاحظات النقاد وآراءهم استحالَت فيما بعد إلى قوانين علمية ترشد الكتاب والشعراء إلى ما يجب اتباعه في التعبير عن العقل والشعور وهي قوانين البلاغة أو أبواب المعاني والبيان البديع في علوم اللغة العربية، وقد عاش النقد والبلاغة مختلطين من أقدم عصورهما"^{٢٦}.

عناصر الأدب.

وقد ألمح الشاعر فيما سبق أن الأدب له عناصر أربعة: وهي العاطفة والخيال والفكرة والصورة (الأسلوب)^{٢٧}. وأما العاطفة فهي الشعور الذي يثيره الموضوع في نفسه والذي يحاول أن يثيره في نفس القارئ^{٢٨}. وهذا العنصر أهم عناصر الأدب وأقواها بالنظر إلى الجانب الفني^{٢٩}، حيث أنها تفرّق الأعمال الأدبية عن الأعمال العلمية. قال أحمد أمين: "والأدب أدواته العواطف وهو الذي يحدث عن شعور الكاتب ويثير شعور القارئ ويسجّل أدق مشاعر الحياة وأعمقها... أن ما لا يحرك عاطفة ولا يثيرها لا يسمى أدباً"^{٣٠}.

^{٢٣} أمين، النقد، ص ١٣.

^{٢٤} أمين، النقد، ص ١٣.

^{٢٥} الشايب، أصول النقد، ص ٣٢.

^{٢٦} الشايب، أصول النقد، ص ٥١.

^{٢٧} الشايب، أصول النقد، ص ٣١. وأمين، النقد، ص ٢٩.

^{٢٨} حتّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦)، ص ١٦.

^{٢٩} الشايب، أصول النقد، ص ٣١.

^{٣٠} أمين، النقد، ص ٣١.

ومقياس العاطفة هو صدق الأديب فيما شعر به. والمقصود بصدقه هو أن تكون بين نفس الأديب وقوله من الشعر أو النثر صلة العلة والمعلول أي يكون عمله الأدبي مرآة لنفسه، حيث يجعل ذلك العمل الأدبي مكان إطلاق شعوره من الحزن والغضب والسرور والرضى وما أشبه ذلك. قال حنا الفاخوري: "العاطفة الصادقة هي الماء والحياة، هي التي تهز السامع وتنقل كيمياء الجمال إلى القلب. وبقدر ما تكون (العاطفة) عميقة يكون أثرها بليغا"^{٣١}. وهذه العاطفة أي عاطفة الحزن هي التي سيبحثها الباحث في قصيدة رثاء الأندلس.

وأما الخيال فهو القوة التي يستطيع بها الإنسان تصوير الأشخاص والأشياء والمعاني ويمثلها شاخصة أمام من يخاطبه ويستثير مشاعره^{٣٢}. يقال بأن الخيال هو لغة العاطفة^{٣٣}، بعبارة أخرى، الخيال هو طريقة لإشغال شعور الإنسان. لذلك نرى أن كثيرا من الأدباء يزينون أعمالهم الأدبية بالأساليب الخيالية من المجاز والتشبيه والكناية. فمقياس الخيال هو الانطبوعية الأدبية ويُقصد بها الصفات الجميلة الخيالية التي تجعل الصورة شديدة الرسوخ في نفس السامع، حيث يكون السامع يغرق في الخيال الذي يصنعه الأديب^{٣٤}.

وأما الفكرة فيُقصد بها الأفكار والمعاني التي يبني بها الأديب موضوع عمله الأدبي والتي يريد أن يعبرها للسامعين أو القارئين بطريقة الخيال الذي يحرك عواطفهم^{٣٥}. وهذا العنصر يُعتبر أساسا في كلّ الفنون ما عدا الموسيقى. وقد تسمّى أيضا بالمعنى أو الحقيقة^{٣٦}. ومقياس الفكرة هي الحقيقة الأدبية، ويعني بذلك موافقة الأدب للواقع المحسوس. فمدى كثرة الموافقة يكون الحسن والجمال أشد. ولكن ليس معنى الموافقة أن الأديب يعبر عن جميع الحقائق بجزئياتها ولكنه أن ما قدمه الأديب في ضمن عمله الأدبي بعبارة جميلة خيالية يوافق الواقع الذي شاهده وإن كانت الموافقة بشكل عام مثل نضال المرأة أو الصراع الاجتماعي وإلى ذلك^{٣٧}.

^{٣١} الفاخوري، الجامع، ص ٢٣.

^{٣٢} أمين، النقد، ص ٣٣.

^{٣٣} الشايب، أصول النقد، ص ٣١.

^{٣٤} الفاخوري، الجامع، ص ٢٢.

^{٣٥} الفاخوري، الجامع، ص ١٦.

^{٣٦} الشايب، أصول النقد، ص ٣١.

^{٣٧} الفاخوري، الجامع، ص ٢٢.

وأما الصورة أو الأسلوب فهي عنصر مهم جداً في الأدب، لأنها وسيلة أداء كل العناصر الثلاثة السابقة^{٣٨}. فعلى الأديب أن يختار الأساليب الجيدة لعمله الأدبي؛ لأن العواطف - وإن كانت قوية - والخيال - وإن كان جميلاً - والمعاني - وإن كانت دقيقة - ليست لها قيمة بدون الأسلوب الجيد. ومقياس الصورة أو الأسلوب هي الفصاحة والبلاغة. ويعني بالفصاحة أن تكون العبارة صحيحة التركيب من غير تعقيد ولا إغراب. ويعني بالبلاغة أن تكون العبارة بحسب مقتضى الحال. والعبارة الأدبية لا تساوي عبارة علمية؛ لأن الأدبية هي عبارة الجمال الحية فيها المحسنات البديعية، في حين أن العبارة العلمية هي عبارة الحقيقية المجردة^{٣٩}.

عاطفة الحزن

الحزن من العاطفة^{٤٠}. الحزن بالضم لغة هو الهم وجمعه الأحزان^{٤١}. قال ابن منظور: "الحزن والحزن: نقيض الفرح وهو خلاف السرور"^{٤٢}. فاستخلص مما سبق أن مرادف الحزن هو الهم. فقد جاء هذا اللفظ بذلك المعنى في الحديث الشريف الذي نقله ابن أبي الدنيا في *الحزن والهم*، حيث قال: "قال -صلى الله عليه وسلم-: إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها، ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه"^{٤٣}.

وأما الحزن اصطلاحاً فقد عرفه العلماء بعدة التعريفات. فعند ابن القيم: هو توجع لفئات وتأسف على ممتنع^{٤٤}. وأما عند ابن أبي الدنيا كما ذكره محقق كتابه فهو ما أعان على استدراك ما مضى والإحسان فيما بقي^{٤٥}. وأما الحزن عند الفلاسفة هو ألم نفساني يغمر النفس كلها ويرادفه الغم والهم والكآبة. وقالوا بأن الحزن إما يحصل لها لانطواء مزاجها على القلق والاضطراب ومن عادة الحزن مطرقاً وإطراق الأسمى، مفرطاً في النظر إلى العواقب^{٤٦}. وذهب بعض النقاد المحدثين بأن الحزن

^{٣٨} الشايب، أصول النقد، ص ٣١. وأمين، النقد، ص ٥٤.

^{٣٩} الفاخوري، الجامع، ص ٢٣.

^{٤٠} أمين، النقد، ص ٣٠.

^{٤١} الفيروزآبادي، المحيط، ص ٣١٧.

^{٤٢} ابن منظور، لسان العرب، ص ٨٦١.

^{٤٣} ابن أبي الدنيا، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد (القاهرة: دار السلام، ١٩٩١م)، ص ٢٩.

^{٤٤} الدنيا، الهم، ص ٦.

^{٤٥} الدنيا، الهم، ص ٦.

^{٤٦} سلامة عابد، سيمياء الحزن، ص ٨-٩.

هو ألمٌ نفسيّ يوصف بالشعور بالبؤس والعجز^{٤٧}. ومن هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية، فهم أن الحزن شعور أو إحساس عاطفي. لذلك دراسة الحزن هي دراسة العاطفة. فمن شأن الأشعار الرثائية -وهي افتقاد أعضاء الأسرة والأحباء والإخوان والبلدان الذين قد ماتوا وإعداد مزاياهم^{٤٨}-، يكون الشاعر فيها حزينا ويجعل شعره مكان إخراج حزنهم. كذلك قصيدة رثاء الأندلس، حيث أظهر أبو البقاء الرندي حزنه لما قد فات أمامه من قوة ورفاهية دولة الأندلس. فقد أنشد القصيدة بعاطفة صادقة تجعل قلوب القارئ باكية. واستخدم بعض الأساليب البلاغية التي تزيد بالقصيدة حُزناً.

علم المعاني.

علم المعاني من أقسام البلاغة الثلاثة. والبلاغة في اللغة هي الوصول والانتها. وفي الاصطلاح تقع وصفا للكلام والمتكلم. وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردتها ومركبتها. وتُقصد بـ "ما يقتضيه حال الخطاب" الصورة المخصوصة التي تُورد عليها العبارة كالممدح أو الذم أو الدعاء أو النهي أو الإيجاز أو الإطناب وما أشبه ذلك. وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها صاحبها على تأليف كلامٍ بليغ^{٤٩}. والبلاغة هي من الأدوات التي تحلل عناصر الأدب في الأعمال الأدبية كما قد أشار الباحث إلى ذلك سابقا.

فالبلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام على حسب وظيفتها. فالعلم الذي يدرس مطابقة الكلام لمقتضى الحال يسمى علم المعاني. والذي يدرس طريقة الابتعاد عن التعقيد المعنوي في الكلام حتى يكون فصيحاً يسمى علم البيان والذي يدرس محسنات الكلام اللفظية والمعنوية يسمى علم البديع^{٥٠}. ففهم مما سبق أن البلاغة تهتم كثيراً بجمال معاني الكلام كما تهتم أيضاً بجمال ألفاظ الكلام. لكن الذي يستخدمه الباحث لتحليل الحزن هنا هو الإنشاء الطلبي الذي يكون من مباحث علم المعاني؛ لأنه أغلب الأساليب البلاغية انتشاراً في قصيدة الرندي كما سيفصله لاحقاً.

^{٤٧} فتحي الجبوري، ملامح الحزن، ص ٨١.

^{٤٨} سراج الدين محمد. الرثاء في الشعر العربي (بيروت: دار الراتب الجامعية، دت)، ص ٥.

^{٤٩} الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٤٠-٤٢.

^{٥٠} الخطيب القزويني، الإيضاح، ص ١٤-٢٢.

فعلم المعاني هو علمٌ يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال^{٥١}. فقد قسّمه الخطيب القزويني -في كتابه المشهور *الإيضاح في علوم البلاغة*- إلى ثمانية أبواب: أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والإنشاء، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة^{٥٢}. لكن مدار الكلام هو الإنشاء الطلبي (من باب الإنشاء)، لذلك لا حاجة إلى تطويله فيما سواه.

الإنشاء الطلبي

الإنشاء لغة هو الإيجاد واصطلاحاً ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته. ويقال في تعريفه الاصطلاحي ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفّظت به^{٥٣}. فطلب المغفرة في "اغفر" وطلب ترك الذهاب في "لا تذهب" مثلاً فلا يتحققان إلا بالتلفّظ بهما. وكذلك لا يوصف قائلهما بالصدق أو الكذب. وينقسم إلى قسمين: الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي. فالثاني هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب كالمدح والذم^{٥٤}.

وأما الإنشاء الطلبي فهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب^{٥٥}. فإذا نُظر إلى تعريف هذا القسم من الإنشاء فقد فهم أن أيّ أديب استخدم هذا الأسلوب فهو يريد أن يجذب انتباه السامعين أو القارئ نحوّه. وهكذا ما فعله أبو البقاء الرندي في أشعاره حيث يستخدم عدّة مرّات أسلوباً من أنواع الإنشاء الطلبي، كأنه يريد أن ينتبه الجميع إلى قوله وأن يخبرهم بأن المصيبة التي أتت على أرض الأندلس كبيرة محزنة جداً.

وأنواع الإنشاء الطلبي كثيرة منها الأمر، والنهي، والنداء، والاستفهام، والتمني والعرض إلا أنه لم يمكن للباحث شرح كلّها بالتفصيل، ولكن يذكر منها الثلاثة التي يستخدمها الباحث لتحليل عاطفة الحزن في قصيدة رثاء الأندلس فقط. وهي كالتالي:

الأمر

^{٥١} الخطيب القزويني، *الإيضاح*، ص ٢٣.

^{٥٢} الخطيب القزويني، *الإيضاح*، ص ٢٤.

^{٥٣} الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص ٦٩.

^{٥٤} الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص ٦٩.

^{٥٥} الخطيب القزويني، *الإيضاح*، ص ١٠٨.

وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء أي يكون الطلب من الأعلى إلى الأدنى. فقد اختلف البلاغيون في هذا الطلب، هل يكون على سبيل الجوب أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أن الأمر هو طلب الفعل واجبا ورأى البعض أنه ندبا. وهناك من رأى أنه يحتمل وجوبا وندبا^{٥٦}. وعلى كل حال، كانت للأمر أربعة صيغ: (١) فعل الأمر كأكرم واستغفر. (٢) الفعل المضارع المقرون بلام الأمر ك"لِيُنْفِقْ وليذهب" (٣). اسم فعل الأمر كصه بمعنى اسكت وعليم بمعنى الزم. (٤) المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: {وبالوالدين إحسانا (النساء: ٣٦)} أي أحسنوا بهما^{٥٧}.

ومعناه الأصلي كما ذكره الخطيب القزويني هو طلب الفعل استعلاءً وهذا هو ما يتبادر في الذهن عند استخدامه^{٥٨}. كقوله تعالى: {أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة (البقرة: ٤٣)}. وقد يقال لمعان بلاغية أخرى تناسب المقام، منها:

(١) الإهانة والتحقير أي إهانة المأمور. كقوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (الدخان: ٤٩)}^{٥٩}.

(٢) والدعاء إذا كان الطلب على سبيل التضرع أي من الأدنى إلى الأعلى. كقوله تعالى: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَالْوَالِدَيْنِ (نوح: ٢٨)}^{٦٠}.

(٣) الالتماس. إذا كان الأمر والمأمور متساويين رتبةً أي ليس فيه استيلاء. كقول الشخص لصديقه "افعل كذا"^{٦١}.

النداء

وهو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء. وله ثمانية أدوات: الهمزة، وأي، ويا، وآ، وأي، وأيا، وهيا، ووا. وينادي بالهمزة وأي القريب وينادي بباقية أدواته البعيد^{٦٢}. وقد يخرج النداء من معناه الأصلي السابق -وهو طلب الإقبال- لأغراض بلاغية أو معان بلاغية تناسب مقام الكلام:

^{٥٦} عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص ٣٥٥.

^{٥٧} عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص ٣٥٥.

^{٥٨} الخطيب القزويني، الإيضاح، ص ١١٦.

^{٥٩} الخطيب القزويني، الإيضاح، ص ١١٧. وعبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص ٣٦٢.

^{٦٠} الخطيب القزويني، الإيضاح، ص ١١٧.

^{٦١} الخطيب القزويني، الإيضاح، ص ١١٦.

^{٦٢} الهاشي، جواهر البلاغة، ص ٨٩.

- (١) التحسّر والتحرّز. وذلك عند نداء الأطلال والمنازل والمطايا والقبور والأموات والحسرة. كما في القرآن: {ويوم يغصّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (الفرقان: ٢٧)}. ومنه قول الشاعر عبد الله بن الأهمتم يرثي ابنه:
- دعوتك يا بني فلم تجبني * فردت دعوتي بأسا علياً^{٦٣}
- (٢) الزجر. وذلك لزجر قلب الأديب أو المنادى لقسوته وغفلته مثلاً. كما في قول علي الجارم:
- يا قلبُ ويحك ما سمعت لناصر * لما ارتميت ولا اتقيت ملاماً^{٦٤}
- (٣) الاستغاثة. كقول الداعي: "يا الله" أي أغثنا^{٦٥}.

الاستفهام

- وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل. ويتمّ الاستفهام بإحدى أدواته: الهمزة وهل وما ومن ومتى وأيان وكيف وأين وأنى وكم وأي^{٦٦}. فمن أراد أن يعرف خصائص كل منها بالتفصيل فليرجع إلى كتب البلاغة لأنّ الكلام هنا عن معاني الاستفهام البلاغية. فقد يخرج الاستفهام من معناه الأصلي فيُستفهم به عن الشيء الذي قد عُلم من قبل، وذلك لأغراض بلاغية منها:
- (١) التشويق. يعني أراد به إظهار الشوق وجعل المنادى مشتاقاً وراغباً. كقوله تعالى: {هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ أليمٍ (الصف: ١٠)}^{٦٧}.
- (٢) الأمر. كقوله تعالى: {فهل أنتم مسلمون (هود: ١٤)}^{٦٨}.
- (٣) التعجب. كما في القرآن حكاية قول النبي سليمان -عليه السلام-: {ما لي لا أرى الهدى (النمل: ٢٠)}^{٦٩}.

^{٦٣} عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص ٤١٧.

^{٦٤} عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص ٤١٦.

^{٦٥} عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص ٤١٥.

^{٦٦} الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٧٨.

^{٦٧} الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٨٣.

^{٦٨} الخطيب القزويني، الإيضاح، ص ١١٢.

^{٦٩} الخطيب القزويني، الإيضاح، ص ١١٢.

وبعد أن تمّ سرد المعلومات والبيانات التي تتمثل إطاراً نظرياً، سيبدأ الباحث يحلل عاطفة الحزن في قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي.

لمحة عن الشاعر وقصيدته

وقبل تحليل الحزن في الأساليب الإنشائية الطلبية في القصيدة، ينبغي أن تُعرف شخصية الشاعر والأحوال التي قد عاش فيها لكي يُعرف بذلك مدى صدق عاطفة حزنه وسموها بالنظر إلى الشيء خارج القصيدة؛ لأنه يقال: "أن المبدع (الأديب) في نظر القدامى - وحتى في نظر الدراسات الحديثة - يكون مدفوعاً بقوة الطبيعة للتعبير عن أحاسيسه"^{٧٠}. بعبارة أخرى، إذا كان الوضع في عصر الأديب قاسياً فذلك يؤثر على قوة عاطفة حزنه في عمله الأدبي حتى يؤثر تأثيراً قوياً على عاطفة حزن السامعين أو القارئ. وإلا فلا.

اسمه الكامل هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن علي بن شريف النفزي الرندي. كنيته أبو الطيب وأبو البقاء. ولد الرندي في محرم سنة ٦٠١ هـ وتوفي سنة ٦٨٤ هـ.^{٧١} عاش الرندي في أواخر قيادة دولة الموحدين وبداية عصر بني الأحمر (ق ٧ هـ)^{٧٢} إذن، كان الرندي قد عاش بعد أن تمّ تفريق الأندلس إلى عدة قواعد أو مدن. وفي هذا القرن تمّ سقوط دولة الموحدين (٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م) ولم يبق في الأندلس إلا ولايتان فقط: غرناطة وحمص^{٧٣}. إذن، في عصر الشاعر هذا قد تعرضت الأندلس إلى السقوط.

وفي هذا القرن (٦٤٣ هـ)، قد أهانت النصارى المسلمين في غاية الإهانة، حيث جاء فرناندو الثالث ملك فشتالة - بعد أن استولى معظم مدن الأندلس - يقوم بالمعاهدة مع ابن الأحمر (مؤسس دولة بني الأحمر في غرناطة) ويعقد معه معاهدة يضمن له فيها بعض الحقوق ويأخذ عليه بعض الشروط والواجبات: منها أنه يجب لابن الأحمر أن يدفع الجزية إلى ملك فشتالة ومنها أن تكون غرناطة تابعة لمملكة فشتالة ومنها أن يساعد ابن الأحمر ملك فشتالة في حروبه ضد أعداءه إذا احتاج إلى

^{٧٠} عبد القادر فيدوح، *الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي* (عمان: دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩). ص ٤٢.

^{٧١} محمد رضوان الداية، *أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس*، (بيروت: مكتبة سعد الدين، ١٩٨٦)، ص ٣٥.

^{٧٢} نايلي هناء، *التشكيل الشعري في ديوان أبي البقاء الرندي: دراسة جمالية وفنية*، رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قلالة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٩. ص ٢٥٧.

^{٧٣} راغب السرجاني، *قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط*، (القاهرة: مؤسسة اقرأ، ٢٠١١)، ص ٦٣٧.

ذلك. بهذا الشرط الثالث فقد صاحب ابن الأحمر ملكَ فشتالة حصار أشبيلية حتى استطاع ملك فشتالة أن يستولي جميع الحصون الإشبيلية^{٧٤}.

فمن خلال ما سبق بيانه، يتضح جلياً أن الشاعر قد عاش في زمن الاضطراب والخوف والامتلاء بكثير من الحوادث المحزنة، حيث رأى سقوط دولته المحبوبة وذلة إخوانه المسلمين وأخواته المسلمات. لذلك ليس من العجيب أن تكون عاطفة الحزن في قصيدته مؤثرة تأثيراً قوياً في قلوب القارئ أو السامعين. فبالنظر إلى تاريخ عصره هذا أيضاً، يتبين أن عاطفة حزنه في مضمون أبيات القصيدة صادقة ولا ويتكلف في ذلك.

وقصيدة رثاء الأندلس -التي تكون موضع البحث في هذه الرسالة- لها عدة النسخ قد نُقلت في كتب العلماء القدماء والمعاصرين. وذلك يدلّ على شهرة هذه القصيدة. ومع عدة النسخ اختار الباحث ما نقله المقري في كتابه *أزهار الرياض في أخبار عياض*^{٧٥}. فقد عرفت أيضاً بعدة الأسماء منها: نونية الرندي ومنها رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي ومنها *كلّ شيء إذا ما تمّ نقصان*^{٧٦}. فهذه القصيدة من القصائد الرثائية، فذلك ظاهر في أبيات شعرها. بل بدأها الشاعر بالبيت يدلّ على الرثاء، حيث قال:

لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان * فلا يغرّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دُول * من سرّه زمن ساءتْهُ أزمان^{٧٧}

فقد أراد الشاعر من خلال هذين البيتين الافتتاحيتين أن يخبر السامعين أو القارئ بأن الدنيا وما فيها من الدول ليست باقية -وإن كانت الدولة قوية كبيرة- فلا ينبغي أن تنخدع الناس بالملذات الدنيوية. وكلّ دولة كبيرة في العالم قد تعرّضت إلى السقوط مهما كثرت أموالهم وجيوشهم. وذلك الانتصار والانهيار من سنن الله عز وجلّ في العالم. فمن يشعر بالسرور ساعة فسيشعر بالحز والهمّ مدةً طويلةً. فهذا هو ما حدث بالأندلس أي تتجّه الآن (في عصر الشاعر) نحو السقوط. فلا

^{٧٤} راغب السرجاني، *قصة الأندلس*، ص. ٦٣٨-٦٤٠.

^{٧٥} شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، *أزهار الرياض في أخبار عياض*. الرباط: صندوق أحياء التراث الإسلامي، (د.م: د.ن، ١٩٧٨)، ص ٤٦-٥٠.

^{٧٦} الداية، *أبو البقاء*، ص ٨٩.

^{٧٧} المقري، *أزهار الرياض*، ص ٤٧.

شكَّ أن هذا من باب إظهار حزن الشاعر. ومع ذلك سيحاول الباحث تحليل عاطفة الحزن في ضمن الأساليب الإنشائية الطلبية التي يستخدمها الشاعر في قصيدته هذه.

الحزن في أسلوب الأمر

كما تقدّم فيما سبق من أن الإنشاء الطلبي يدلّ على أن الأديب يطلب الانتباه من السامعين أو القارئ. فإذا رثى الشاعر بهذا الأسلوب فذلك بمعنى أنه يريد أن يظهر حزنه الشديد ويخبر بأن ذلك الحزن حقيقي. ثم إن الشاعر يستخدم الأمر -وهو من الإنشاء الطلبي- في قصيدته، حيث قال:

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان^{٧٨}

فقد أمر الشاعر من خلال هذا البيت أن يُسأل لمدينة بلنسية كيف تكون الحال في مدينة مرسية وأين تكون مدينتي شاطبة وجيان الآن التي قد ملأت من قبل بالخير والرفاهية؟! فقد ظهر أن الأمر هنا ليس بمعناه الحقيقي -وهو طلب الفعل على وجه الاستيلاء-؛ إذ أنه لم يمكن سؤال المدن. وإنما معناه هنا هو الإهانة والتحقير، يعني أن الشاعر يريد أن يحقّر الناس في ذلك الوقت بسبب أنهم لا يتحرّكون للجهاد، بدليل قول الشاعر:

كم يستغيث بنو المستضعفين وهم * أسرى وقتلى فما يهتّر إنسان^{٧٩}

وذلك يدلّ على أن الشاعر قد شاهد ظواهر محزنة جدًّا، حيث تتعرّض دولته إلى الانهيار والانهدام والناس يسكتون.

الحزن في أسلوب النداء

قال الشاعر:

يا من لدّة قومٍ بعد عزّهم * أحال حالهم كفرّ وطغيان

يا ربُّ أمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما * كما تفرّق أرواحَ وأبدان^{٨٠}

فلا يقصد الشاعر بالنداء في هذه الأبيات طلب الإقبال أو المساعدة من المنادين لأنهم ضعفاء، حيث كانوا في البيت الأول من المغلوبين وفي الثاني من النساء والأطفال -وهم ضعفاء- ولكن

^{٧٨} المقري، أزهار الرياض، ص ٤٨.

^{٧٩} المقري، أزهار الرياض، ص ٤٩.

^{٨٠} المقري، أزهار الرياض، ص ٤٩-٥٠.

المقصود هو إظهار التحسّر والتحنّن يعني أن الشاعر يريد أن يخبر السامعين أو القارئ بأن الأحوال في الأندلس حينئذٍ شديدة قاسية جدًّا؛ فقد غادرها الإسلام ودخلت فيها الكفر والفساد، بل المجاهدون مهزومون مفرقون. فما بال النساء وأولادهن؟!^{٨١}

فقد استخدم الشعراء القدماء النداء بهذا الغرض كثيرا في أشعارهم الرثائية فينادون أولادهم وإخوانهم وأخواتهم وزوجاتهم الأموات^{٨٢}. لذلك، ليس من العجيب أن يستخدم الشاعر أسلوب النداء لإظهار مبالغة حزنهم. ويؤيد قول الشاعر قول بعض المؤرّحين: "هدف الإسبان إلى تنصير المسلمين بإشراف السلطات الكنسية وبأشدّ وسائل العنف. ولما رفض المسلمون عقائد النصراني اعتبرهم نصراني الإسبان ثوارا وعملاء لجهات خارجية في المغرب والقاهرة والقسطنطينية وبدأ القتل فيهم"^{٨٣}.

قال الشاعر:

يا غافلا وله في الدهر موعظة * إن كنت في سنةٍ فالدهر يقظانُ

وماشيا مَرِحًا يلهيه موطنه * أبعدَ حمصٍ تغرّ المرءَ أوطانُ^{٨٤}

فإذا لوحظ هذان البيتان فوجد أن الشاعر يعني بهما الزجر أي زَجَرَ من قد غرقوا في ملذّة الدنيا ورفاهيتها من مجتمعه حتى يدعي الشاعر أنهم في سنة فعلهم الاستيقاظ. وفهم من البيت الثاني أن مدينة حمص قد هزمت تحت يد الأعداء وكانت من قواعد الأندلس العظيمة^{٨٥}. فقد وافق ما قاله الشاعر -من سقوط حمص في عصره- ما كتبه المؤرّخون في كتبهم^{٨٥}. فكل ذلك يدل على صدق قول الشاعر وصدق عاطفة حزنه.

الحزن في أسلوب الاستفهام

قال الشاعر:

وأيّن قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان

^{٨١} عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص ٤١٧.

^{٨٢} السرجاني، قصة الأندلس، ص ٦٩٧.

^{٨٣} المقري، أزهار الرياض، ص ٤٨.

^{٨٤} محمد عبد الله عينان، دولة الإسلام في الأندلس (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧)، ص ٣٧.

^{٨٥} وتمّ سقوطها في عام ٦٤٦هـ، أنظر: محمد عبد الله عينان، دولة الإسلام ص ٢٠.

وأين حمص وما تحويه من نُزهٍ * ونهرها العذب فيّاض وملآن^{٨٦}

كما شرح الباحث في الإطار النظري بأنه عندما خرج الاستفهام من معناه الأصلي أي الاستفشار، فكان هناك أغراض بلاغية يريدها الشاعر. كذلك الأمر هنا يعني أن الشاعر لا يقصد بهذا الاستفهام طلب الجواب من السامعين أو القارئ؛ لأن الشاعر من أعلم الناس جواباً. ولكنه يقصد به التشويق كأنه يشواق شوقاً شديداً ويريد أن يذكر الآخرين عما كان في قرطبة وحمص من الخيرات حتى يشواق بمثل اشتياقهم.

فمن شأن المشتاق أنه يذكر الخيرات الفاتنة المشتاقة كما فعله الشاعر في الشطرين الآخرين من كل بيت. يقول في الأول بأن مدينة قرطبة سابقاً هي دولة قد نشأت منها العلماء ويقول في الثاني بأن طبيعة العالم في حمص جميلة. ولكنها الآن لا تزيد عن ذكريات فقط. ويرى الباحث إن فوات وذهاب الخيرات -الذي يجعل الشخص مشتاقاً إليها- يكفي أن يكون سبباً في حزنه. فاستخلص الباحث ممّا سبق ذكره، أن الاستفهام هنا يدلّ على حزن وهمّ الشاعر.

ثم يخبر الشاعر عن أشدّ تحوّل الأحوال في الأندلس: من الأمن والسلام إلى الظلم والظلام ومن نور الإسلام إلى الكفر والطغيان، حيث يغيّر الأعداء مساجد المسلمين كنائسهم ويضعون الصليبان والنواقيس في داخلها. ويدّعي الشاعر أن الدين الإسلامي بالكِ بسبب هذه المصيبة. فقد عبّر الشاعر هذه المصيبة المؤذية بعبارته الجميلة السهلة. يقول:

تبكي الحنفيّة البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الإنف هيمانُ

على ديارٍ من الإسلام خالية * قد أسلمت ولها بالكفرِ عمرانُ

حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهنّ إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة * حتى المنابر ترثي وهي عيدان^{٨٧}

فكلّ هذه الأساليب البلاغية مع معانيها تدلّ على صدق عاطفة حزن الشاعر وسموّها. ومع ذلك، ليس المعنى بأن ما يدلّ على ذلك الحزن هو الأساليب السابقة فقط، ولكن هناك كثير من الأساليب الأخرى تشير إليه غير أن الباحث يجعل مدار الكلام منحصرًا في الأساليب السابقة حتى لا يكون البحث واسعاً طويلاً جداً. فربّما يأتي الباحث الآخر يقوم بالبحث عن العواطف بشكل عام

^{٨٦} المقري، أزهار الرياض، ص. ٤٨.

^{٨٧} المقري، أزهار الرياض، ص ٤٨.

وعاطفة الحزن بشكل خاص بطريقة تحليل الأساليب البلاغية الأخرى المنتشرة في هذه القصيدة. وما سبق بيانه يدلّ أيضا على بداعة الشاعر في صياغة الكلام للتعبير عن عواطفه.

الخلاصة

وبعد طرح المعلومات والتحليل ونتائج البحث، فلم يبق إلا أن يذكر الباحث خلاصة كلامه السابق. وتلك الخلاصة أن الباحث يجد ثلاثة الأساليب الإنشائية الطلبية التي ترد في القصيدة بمعانيها البلاغية وتدلّ على صدق عاطفة حزن الشاعر وسموّها وتلك الأساليب كالتالي:

(١) الأمر بمعنى الإهانة والتحقير أي يعني أن الشاعر يريد أن يحقّر الناس في ذلك الوقت بسبب أنهم لا يتحرّكون للجهاد. وهذه الظاهرة التي رآها الشاعر يجعله حزينا.

(٢) النداء بمعنى التحسّر والتحرّز. الشاعر يريد أن يخبر السامعين أو القارئ بأن الأحوال في الأندلس حينئذ شديدة قاسية جدّا؛ فقد غادرها الإسلام ودخلت فيها الكفر والفساد، بل المجاهدون مهزومون مفرّقون.

(٣) النداء بمعنى الزجر. يعني زَجَرَ الشاعر من قد غرقوا في ملذّة الدنيا ورفاهيتها من مجتمعه حتى يدّعي الشاعر أنهم في سنة فعلهم الاستيقاظ.

(٤) الاستفهام بمعنى التشويق. يشواق شوقا شديدا ويريد أن يذكر الآخرين عمّا كان في بعض مدن الأندلس: قرطبة وحمص من الخيرات حتى يشواق بمثل اشتياقهم. لكنها قد زالت.

فكلّ هذه الأساليب بمعانيها كما قد ذكرها الباحث، تكفي لأن تكون حجّة لصدق وسموّ حزن الشاعر أبي البقاء الرندي الأندلسي. والله أعلم.

قائمة المراجع

- أحمد أمين. *النقد الأدبي*. القاهرة: هنداوي، ١٩٧٨.
- أحمد الشايب. *أصول النقد الأدبي*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ١٩٩٤.
- أحمد الهاشمي. *جواهر البلاغة*. تحقيق: يوسف الصميلي. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩.
- ابن أبي الدنيا. *الهم والحزن*. تحقيق: مجدي فتحي السيد. القاهرة: دار السلام، ١٩٩١.

- ابن منظور. *لسان العرب*. تحقيق: عبد الله علي الكبير. القاهرة: دار المعارف، الطبعة الجديدة المحققة. د.ت.
- بسيوني عبد الفتاح فيود. *علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني*. القاهرة: مؤسسة المختار، ٢٠١٥.
- تهاني سلامة حسن سلامة. *عوامل قيام دولة الموحدين وسقوطها بالمغرب والأندلس*. مجلة أبحاث جامعة سرت. العدد ١٩. ٢٠٢٢.
- حمد محمد فتحي الجبوري. *ملاحح الحزن في شعر الشريف المرتضى*. مجلة آداب الرافدين، مجلة فصلية علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب-جامعة الموصل. العدد ٨٦. السنة ٥١. (٢٠٢١).
- حنّا الفاخوري. *الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم*. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦.
- الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢.
- دعاء عادل سلامة عابد. *سيمياء الحزن في شعر سليم النصار*. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الأقصى، قسم اللغة العربية، ٢٠١٩.
- راغب السرجاني. *قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط*. القاهرة: مؤسسة اقرأ. ٢٠١١.
- سراج الدين محمد. *الرثاء في الشعر العربي*. بيروت: دار الراتب الجامعية. د.ت.
- شكيب أرسلان. *خلاصة تاريخ الأندلس*. بيروت: دار مكتبة الحياة. ١٩٨٣.
- شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني. *أزهار الرياض في أخبار عياض*. الرباط: صندوق أحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٨.
- شوقي ضيف. *تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠.
- شوميشة بومدان رفيعة نقادي. *شعر الاستغاثة في العصر الأندلسي نونية أبي البقاء الرندي - أنموذجاً: دراسة نصية تناصية*، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبو بكر بلقياد، كلية الآداب واللغات. ٢٠٢١.
- عبد التواب محمود وغيره. *الدلالات التعبيرية لظاهرة الحزن في شعر صلاح عبد الصبور*. حوليات آداب عين شمس. المجلد ٤٧. عدد ابريل-يونيه. (٢٠١٩).

عبد القادر فيدوح. *الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي*. عمان: دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ٢٠٠٩.

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. *القاموس المحيط*. تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد. القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨.

محمّد رضوان الداية. *أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس*. بيروت: مكتبة سعد الدين، ١٩٨٦.

محمد سرجان علي المحمودي. *مناهج البحث العلمي*. صنعاء: دار الكتب، ٢٠١٥.

محمد عبد الله عينان. *دولة الإسلام في الأندلس*. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧.

نايلي هناء. *التشكيل الشعري في ديوان أبي البقاء الرندي: دراسة جمالية وفنية*، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قامة، كلية الآداب واللغات. ٢٠١٩.

لسان الدين بن الخطيب. *الإحاطة في أخبار غرناطة*. تحقيق: محمد عبد الله عينان. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٣.